بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

أما بعد.. فإن السمت الحسن خلق عظيم من أخلاق الأنبياء يكسو صاحبه ثوب الهيبة والوقار ويحليه بحلية الرزانة والسكون.

وإن الناظر إلى سير السلف يرى أن حرصهم على تعلم السمت الحسن أشد من حرصهم على العلم الذي هو زكاء العقول وصقالها.

قال عبد الرحمن بن مهدي ـ رحمه الله ـ: «كُنَّا نأتي الرَّجُلَ ما نريدُ عِلمَهُ إلاَّ أن نتعلم من هديه وَسَمْتِه وَدَلِّه»[1].

---

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٤٩).

وقال أيضًا: «كان عليٌّ بن المديني وغير واحد يحضرون عند يحيى بن سعيد القطان ما يُريدون أن يسمعوا شيئًا إلا أن ينظروا إلى هديه وسَمْتِه»[١].

وقال ابن مفلح ـ رحمه الله ـ: «كان يَحْضُرُ مجلس أحمد زُهَاءُ خَمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون والباقي يتعلمون منه حُسن الأدب وحُسن السَّمْتِ»[٢].

وقال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «قد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سَمْتِه وهَدْيِه، لا لاقتباس علمه، وذلك أنَّ ثمرة علمه هديه وسَمْتُه»[٣].

ولا يقتصر الأمر عند هذا بل كان السلف لا يطلبون العلم إلا عمَّن اشتهر بالهدى وحسن السمت.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ١٤٩).
(٢) المرجع السابق (٢/ ١٢).
(٣) «صيد الخاطر» (ص٢١٦).

قال إبراهيم النخعي ـ رحمه الله ـ: «كانوا إذا أتوا الرَّجُل ليأخذوا عنهُ نظروا إلى صلاتِهِ وإلى سَمْتِهِ وإلى هيئَتِهِ ثُمَّ يأخذون عنه»[١].

وكانوا إذا مدحوا الرجل فلا يمدحونه بشيء أعظم من الهدى وحسن السمت، قال أبو عاصم النبيلُ ـ رحمه الله ـ: «مات حَمَّادٌ يوم مات ولا أعْلَمُ له في الإسلام نظيرًا في هَيْئَتِهِ ودله وسَمْتِه»[٢].

وقال الحسن بن الربيع ـ رحمه الله ـ: «ما شبَّهتُ أحمدَ بن حنبل إلا بابن المبارك في سمْتِهِ وهديه»[٣].

وقال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «لقيتُ عبد الوهاب الأنماطيَّ فكان على قانون السَّلَفِ لم يُسْمَعْ في مجلسه غيبةٌ، ولا كان يطلبُ أجرًا على سماع الحديث، وكنت إذا

---

(١) «الآداب الشرعية (٢/١٤٩)، وانظر «سنن الدارمي» (رقم الحديث ٤٣٤/ ٤٣٥/ ٤٣٦)، وانظر «فائدة مهمة بعدها لأبي العالية ـ رحمه الله ـ».
(٢) «السير» (٧/ ٤٥٩).
(٣) «تاريخ الإسلام» للذهبي (ص٦٦).

قرأتُ عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بُكاؤه في قلبي، ويبني قواعد الأدب في نفسي، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النَّقْلِ»[1].

وعليه لا يَخْفَيَنَّ عليك أن السمت الحسن هو التاج الذي افتقدناه، فمتى سَمَتْ نفسُك إليه فلابد لها من موارد التعب والعناء، لكن التعب في سبيل التحلي بالتاج يشبه الدواء المر.

وها أنا أضع بين يديك غرسًا فلا تضنن في تعاهد ما غرستُ واستنمائه، ولا يغيبن عنك أن السمت والعلم زَوْجٌ لا يكمل السمت إلا بالعلم ولا يكمل العلم إلا بالسمت.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم ويغفر لي ولوالدي يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

---

(١) «صيد الخاطر» (ص١٤٣).